رسالة شرعية عالمية

معهد المنهج الدراسي الميسر

زوائد المؤلفات على

كتب المنهج الدراسي

التعليق

على

منظومة في الرد على الأشاعرة

لأبي الحسن الطِّرَازِيُّ الحنبلي (ت ٤٢٢)

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي الميسر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فهذه تعليقات نافعة ميسرة على منظومة (الرد على الأشاعرة) لأبي الحسن علي بن محمد البغدادي الحنبلي رحمه الله تعالى، يستفاد منها في بيان حقيقة الأشاعرة وفي رد بعض شبهاتهم. والله الموفق.

كتبه

أبو عبد الله المصنعي

أصلحه الله تعالى

ربيع ثاني ١٤٤٤ هجرية.

****

ترجمة الناظم

هو أبو الحسن عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الطِّرَازِيُّ الحنبلي.

المتوفى عام (٤٢٢).

وكان من كبار علماء وقته، ومسند خرسان في عصره، ومن أدباء زمانه، وسمع الحديث عن الأصم وغيره، وحدث وتخرج على يديه طلبة. وكان صاحب سنة.

ومنظومته هذه في ستة عشر بيتًا (١)، حسب ما ورد في كتاب ابن منده: (الرد على من يقول: [الم] حرف لينفي الألف والام والميم عن كلام الله عز وجل) (٢)، وجُلُّها رد على الأشاعرة.

****

(١) وفي كتاب ابن قدامة (المناظرة في القرآن) أربعة عشر بيتًا، دون البيتين (٤) (٧)، وختم بها ابن قدامة.

(٢) قال ابن منده رحمه الله تعالى في آخر كتابه المذكور: أَنْشَدَنَا أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الطِّرَازِيُّ فِيهِمْ وَفِي مَقَالَتِهِمُ الْفَضِيحَةِ الرَّدِيَّةِ.

نص المنظومة

١- دَعُونِي مِن حَدِيثِ بَنِي اللُّتَيَّا ... وَمِن قَومٍ بِضَاعَتُهُمْ كَلَامُ
٢- تَفَارِيقُ الْعَصَا مِن كُلِّ أَوْبٍ ... إِذا ذُكِرُوا وَلَيْسَ لَهُم إِمَامُ
٣- كُسَيْرٌ أَوْ عُوَيرٌ أَوْ نُغَيرٌ ... شِعَارُهُمُ السَّفَاهَةُ وَالْخِصَامُ
٤- إذا سُئِلُوا عَنِ الجَبَّارِ مَالُوا ... إِلَى التَّعْطِيلِ وَافْتَضَحَ اللِّئَامُ
٥- وَإِنْ سُئِلُوا عَنِ الْقُرْآنِ قَالُوا ... يَقُولُ بِخَلْقِهِ بَشَرٌ كِرَامُ
٦- كَلَامُ اللهِ لَيْسَ لَهُ حُرُوفٌ ... وَلَا فِي قَوْلِهِ أَلِفٌ وَلَامُ
٧- كَأَنَّ اللهَ كَلَّمَهُمْ جِهَارًا ... وَقَالَ لَهُمْ كَلَامِي لَا يُرَامُ
٨- وَلَو قِيْلَ النُّبُوَّةَ كَيفَ صَارَتْ ... لَقَالُوا تِلْكَ طَارَ بِهَا الحَمَامُ(١)
٩- إِذَا قُبِضَ النَّبِيُّ فَكَيفَ تَبْقَى ... نُبُوَّتُهُ فَدَيْتُكَ وَالسَّلَامُ
١٠- فَهَذَا دِينُهُم فَاعْلَمْ يَقِينًا ... وَلَيْسَ عَلَى مُهَجِّنِهِمْ مَلَامُ
١١- هُمْ زَجَلٌ وتَوحِيدٌ جَدِيدٌ ... أَبَى الْإِسْلَامُ ذَلِكَ والأَنَامُ
١٢- وَزَمْزَمَةٌ وَهَيْنَمَةٌ وَطَيْشٌ ... كَأَنَّهُمْ دَجَاجٌ أَوْ حَمَامُ
١٣- وَإِزْرَاءٌ بِأَهْلِ الحَقِّ ظُلْمًا ... وَتَلْقِيبٌ وَتَشْنِيعٌ مُدَامُ
١٤- وَقَولَ المُلْحِدِينَ وَإِنْ تَعَاوَوْا ... عِوَاءَ الذِّئبِ(٢) لَيْسَ لَهُ نِظَامُ
١٥- فَصَبْرًا يَا بَنِي الْأَحْرَارِ صَبْرًا ... فَإِنَّ الظُّلْمَ لَيْسَ لَهُ دوَامُ
١٦- وَأَنَّ الحَقَّ أَبْلَجُ لَا يُضَامُ ... وَقَولُ الزُّورِ آخِرُهُ غَرَامُ

(١) الحمام: بفتح الحاء، وضبطها بعضهم بكسرها.

(٢) في نسخة من (المناظرة): (البَيْن) وهو الغراب الأبقع، وفي كتاب ابن منده كما أثبتناه، وهو الذي أثبته محقق مخطوطة (المناظرة في القرآن).

١ – دَعونِي مِن حَـدِيثِ بَـنِي اللُّتَيـَّا   وَمــــن قومٍ بِضَاعَتُهُمْ كَلَامُ

التعليق:

١ – قوله: (دَعونِي مِن حَــدِيثِ بَـنِي اللُّتَيـَّا) اللتيا: تصغير (التي)، ويراد بذلك التحقير.

والمراد هنا الأشاعرة ومن وافقهم كالماتريدية، وغيرهم من المعطلة كالمعتزلة فإنهم رأس التعطيل.

قوله: (وَمــــن قومٍ بِضَاعَتُهُمْ كَلَامُ) اعتمدت المعطلة بجميع فرقها على علم الكلام، وعلم الكلام نوع من الفلسفة اليونانية، ويعني تحكيم العقل في فهم الشرع وغيره.

ولهذا عرفوا علم الكلام بأنه: إثبات العقائد والحقائق بالعقل دون الالتفات إلى أدلة الشرع إلا على سبيل التبع.

ومن ضلال الأشاعرة تقسيم العقيدة إلى عقليات وسمعيات.

فالعقليات تشمل جميع مسائل العقيدة المتعلقة بالرب سبحانه، وبالنبوة.

والسمعيات تشمل مسائل الآخرة كالقبر والحشر والجنة والنار...

ومسائل الأمة كالصحابة وقضايا الحكام.

وهذا التقسيم إلى عقليات وسمعيات بدعة تخالف كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أي: خذوا الدين كله من جميع جوانبه ومن الكتاب والسنة.

وفي حديث العرباض رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور،

فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[١].

فقول الأشاعرة وأهل الكلام ليس من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا من سنة الخلفاء الراشدين، فلم يبق إلا أنه من محدثات الأمور، وبدعة ضلالة.

عارٌ على الأشاعرة أيما عارٍ أن يعتبروا الأخذ بظواهر الآيات والأحاديث من الكفر.

قال أحد ضلالهم وهو السنوسي في (شرح الكبرى): والتمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر...الخ.

وبعض زعمائهم جعل العقل مقدم على أدلة الكتاب والسنة من عشرة أوجه.

ثم يتشدق الأشاعرة بأنهم من أهل السنة، وهم في الواقع يحاربون السنة وتحكيم الكتاب والسنة في العقيدة، واعتقاد ما فيهما على ظاهره.

****

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، وغيره وصححه الألباني.

٢- تَفارِيقُ الْعَصَا مِن كُـــلِّ أَوْبٍ إِذا ذُكِـــرُوا وَلَيْسَ لَهُم إِمَامُ
٣- كُسَـيرٌ أَوْ عُـــوَيرٌ أَوْ نُغيرٌ شِعَارُهُـمُ السَّفَاهَةُ وَالْخِصَامُ

التعليق:

٢- قوله (تَفارِيقُ الْعَصَا) تفاريق العصا، مثَل يضرب لكثرة التفرق والتمزق.

فالعصا تُقْطع عدد من القطع، ثم كل قطعة كذلك، حتى تصير قطع كثيرة صغيرة قليلة النفع.

وأهل البدع كذلك ينقسمون فِرقًا، ثم كل فرقة تنقسم إلى فرق كثيرة، ثم كذلك.

فالأشاعرة فرق كثيرة مختلفة، وذلك مصدق قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم: "افترقَتِ اليهودُ على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتفرَّقت النَّصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتَفتَرِقُ أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقةً""[(١)].

قوله: (مِن كُـــلِّ أَوْبٍ) من كل جهة، والمعنى: أنهم خليط من كل الطوائف، فتجد في الأشاعرة: الجهمي والمرجئ، والمعتزلي في بعض المسائل، والفيلسوف، والمتكلم، والجبري، و..و..

قوله: (إِذا ذُكِـــرُوا وَلَيْسَ لَهُم إِمَامُ) ليس لهم إمام هدى وسنة، بل أئمتهم أهل ضلال وزيغ وبدعة، كما قال الشافعي فيما ينسب إليه يصف المبتدعة:

هل لهم ياقوم في بدعتهم .... من فقيه أو إمــام يتبع

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٦)، ابن ماجه (٣٩٩١)، والترمذي (٢٨٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني.

ولما خرج الخوارج أتاهم ابن عباس وحاجههم ومما قال: (وليس فيكم أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم)[١].

٣- قوله: (كُسَيرٌ أَوْ عُوَيرٌ أَوْ نُغيرٌ) كسير: مكسور أو أعرج

عوير: تصغير أعور ويطلق على الغراب.

نغير: صغير الطير وفرخه. وقيل: ضرب من الحُمر.

وهذه الثلاثة تضرب أمثلة لرديء الناس وبغيضهم، ومن لا قيمة له، أو لا خير فيه.

والأشاعرة غالبهم من المتردية والنطيحة وما أكل السبع، تظهر عليهم سيما الضلال والانحراف وربما الشك، كما حصل لكثير من زعمائهم.

(شِعَارُهُمُ السَّفَاهَةُ وَالْخِصَامُ) شعار أهل الكلام الجدل الذي يدل على ضلالهم وضعف عقولهم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾.

وقد يراد بالسفاهة الطيش وبذيء اللفظ، وأهل البدع يكثر منهم التكفير والسباب.

****

---

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٦)، ابن ماجه (٣٩٩١)، والترمذي (٢٨٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني.

٤- إِذا سُئِلُوا عَـنِ الجَـــــبَّارِ مَالُوا إِلَى التَّعْطِيلِ وَافْتَضَـحَ اللِّئَـامُ

التعليق:

٤- قوله (إِذا سُئِلُوا عَـنِ الجَـــــبَّارِ) عن صفاته سبحانه، لا سيما الصفات الفعلية.

قوله: (مَالُوا إِلَى التَّعْطِيلِ) عند الكلام على إثبات الصفات الإلهية يميلون إلى التعطيل المباشر أو التعطيل بتأويل.

فالتعطيل وهو جحد الصفات نوعان: كلي وجزئي.

فالأول هو طريق المعتزلة والجهمية الذين ينكرون ثبوت صفات الله تعالى، ويفسرون ما ورد فيها بأنها مخلوقة، فكلامه تعالى مخلوق، وعلمه مخلوق...الخ.

والتعطيل الجزئي وهو ما عليه الأشاعرة والماتريدية والكلابية، يثبتون بعض الصفات دون العشر، وبطريقة غير شرعية، وما عدا ذلك يفسرونه بأهوائهم،

كقولهم: محبة الله تعالى ثوابه، وغضبه عقابه، وكلامه نفسي، ...الخ.

والمعطلة بنوعيها ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ جحدوا اسمه تعالى وصفاته.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فتأويل الصفات وتحريف معانيها عن ظاهرها إلحاد.

(وَافْتَضَـحَ اللِّئَـامُ) اللئام جمع لئيم، وهو: سيء الطبع والخلق.

وأهل البدع لئام لا سيما في تعاملهم مع نصوص الصفات بالتحريف والتعطيل أو التمثيل والتكييف.



٥- وَإِنْ سُئِلُوا عَــنِ الْقُــرْآنِ قَالُوا	يَقُـــــولُ بِخَلْقِهِ بَشَــرٌ كِرَامُ
٦- كَــــلَامُ الله لَيْسَ لَهُ حُرُوفٌ	وَلَا فــي قَـــوْلِهِ الفٌ وَلَامُ
٧- كَـــأَنَّ الله كَلَّمَــهُمْ جِهَـــارًا	وَقَـــالَ لَهُمْ كَلَامِي لَا يُرَامُ

التعليق:

٥- قوله: (وَإِنْ سُئِلُوا عَــنِ الْقُــرْآنِ) عن القرآن الكريم الذي بين أيدينا المكتوب في المصاحف والمحفوظ بالصدور هل هو كلام الله تعالى؟

(قَالُوا يَقُـــــولُ بِخَلْقِهِ بَشَــرٌ كِرَامُ) أجاب الأشاعرة والمعطلة بأنه مخلوق، ثم يتعللون من باب التلبيس بأنه قد سبقهم إلى ذلك قوم كرام.

والحاصل أنه سبقهم الجهم بن صفوان وبشر المريسي والمعتزلة والخوارج والروافض ونحوهم.

والأشاعرة وإن قالوا كلام الله تعالى غير مخلوق، فمقصودهم الكلام النفسي، وأما ما نزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو مخلوق عندهم، فوافقوا المعتزلة.

وسيأتي الرد عليهم.

٦- قوله: (كَــــلَامُ الله لَيْسَ لَهُ حُرُوفٌ ... وَلَا فــي قَـــوْلِهِ الفٌ وَلَامُ) أي: ويقول الأشاعرة أيضاً: كلام الله تعالى ليس بحرف وصوت بل هو كلام نفسي، وليس في كلامه حروف.

ويرد عليهم من أوجه:

الأول: هذا خلاف ظاهر القرآن الكريم والسنة النبوية.

الثاني: خلاف اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

الثالث: خلاف إجماع السلف، وهو قول أحدث بعدهم فهو بدعة ضلالة.

الرابع: أن الكلام النفسي لا يسمى كلامًا إلا بقرينة.

ولأن الكلام عرفًا واصطلاحًا: قول بصوت وحرف.

وقد جاء ذكر الصوت صريحًا في حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم يقول لبيك ربنا وسعديك فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار ...) (١).

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ أُنَيْسٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يَحْشُرُ اللهُ العِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ" (٢).

الخامس: ليس هناك محذور تمثيل أو تعطيل في إثبات الصفات لله تعالى ومنها صفة الكلام بحرف وصوت، لأن صفاته تعالى كما يليق بجلاله.

وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فجمع بين إثبات الصفات ونفي التمثيل، ونفي التمثيل يدل على نفي التعطيل، إذ التعطيل فرع عن التمثيل، فالمعطلة توهموا من أدلة الصفات التمثيل ففروا إلى التعطيل والتحريف.

٧- قوله: (كَأَنَّ اللهَ كَلَّمَهُمْ جِهَارًا) وكأن جزمهم ببدعتهم يقين سمعوه من الله تعالى مباشرة. (وَقَالَ لَهُمْ كَلَامِي لَا يُرَامُ) لا يرام: لا يدرك.

فإن انتفى هذا فلم يبق لهم إلا التخرص والكذب على الله تعالى.

****

(١) البخاري (٧٤٨٣).

(٢) رواه أحمد (١٦٠٤٢) وغيره وصححه الألباني.

٨- وَلَو قِيْــلَ النُّبُوَّة كَيفَ صَارَتْ لَقَـــالُوا تِلْكَ طَارَ بهَا الحَمَامُ
٩- إذَا قُبِــــضَ النَّبِيُّ فَكَيفَ تَبْقَى نُبُـــــوتُهُ فَــدَيْتُكَ وَالسَّلَامُ

التعليق:

٨- قوله: (وَلَو قِيْــلَ النُّبُوَّة كَيفَ صَارَتْ) النبوة لا تكون إلا بوحي من الله تعالى، ووحيه كلامه تعالى الذي سمعه جبريل عليه السلام، وبلغه للرسل، وسمعه موسى بلا واسطة، فإنكار كلام الله تعالى يستلزم إنكار النبوة.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾. فالنداء لا يكون إلا بصوت.

قوله: (لَقَـــالُوا تِلْكَ طَارَ بهَا الحَمَامُ) هذا مثل يضرب لمن يدعي ما لا أساس له.

والأشاعرة كلامهم على النبوة ليس فيه إثباتها، بل التشكيك فيها، وهم أردى الطوائف في بابها قولًا واعتقادًا. وقد بسطت القول فيه في كتابي (المختصر المفيد).

٩- قوله: (إذَا قُبِــــضَ النَّبِيُّ فَكَيفَ تَبْقَى نُبُـــــوتُهُ) ...

كأن المعنى: إذا كان الكلام النفسي خلقت عبارته في قلب محمد صلى الله عليه وسلم فإن مات لم تبق نبوة ولا وحي.

أو: زعم بعض الأشاعرة أن الأنبياء إذا ماتوا زال عنهم وصف النبوة.

وقال جمهورهم: بل هم أحياء في قبورهم من جنس حياتهم في الدنيا.

وكلا القولين من غرائب بدع الأشاعرة.

(فَــدَيْتُكَ وَالسَّلَامُ) جملة يراد بها: التعجب والإنكار.

١٠ - فَهَـــــــذَا دِينُهُم فَاعْلَمْ يَقِينًا وَلَيْـــسَ عَـلَى مُهَجِّنِهِمْ مَلَامُ

التعليق:

١٠ - قوله: (فَهَـــــــذَا دِينُهُم) هذا الذي تقدم شرحه من التعطيل والتحريف وسيء الاعتقاد هو دين الأشاعرة والماتريدية وسائر المعطلة.

(فَاعْلَمْ يَقِينًا) اعلم يقينًا بلا شك أن ما ذكرته عنهم هو حقيقة دينهم الأشعري الكلامي.

(وَلَيْـــسَ عَـلَى مُهَجِّنِهِمْ مَلَامُ) فليس على (مهجنهم) من يعيبهم ويذمهم (ملام) لا يلام ويعاتب وينتقد.

- يَا أَشْعَرِيَّـــــةُ يَا أَسَافِلَةَ الْوَرَى .. يَا عُمْيُ يَا صُـــــمٌّ بِلاَ آذَانِ
- إِنِّي لأُبْغِضُكُمْ وَأُبْغِضُ حِزْبَكُمْ .. بُغْضًا أَقَــلُّ قَلِيلِهِ أَضْغَانِي
- لَوْ كُنْتُ أَعْمَـى الْمُقْلَتَيْنِ لَسَرَّنِي .. كَيْلاَ يَـرَى إِنْسَـانُكُمْ إِنْسَانِي

وجرح أهل البدع دل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية، وإجماع السلف.

وقد ذكر اللالكائي من ذلك الشيء الكثير.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وأهل الزيغ هنا هم أهل الأهواء.

ومن السنة ما ورد في الخوارج وغيرهم من الذم بالتعيين أو الإجمال.

****

١١- لَهُـــمْ زَجَلٌ وتَوحِيدٌ جَدِيدٌ   أَبَـى الْإِسْـلَامُ ذَلِكَ والأَنَامُ
١٢- وَزَمْــزَمَةٌ وَهَيْنَمَةٌ وَطَـيْشٌ   كَــأَنَّهُمُ دَجَــاجٌ أَوْ حَمَامُ

التعليق:

١١- قوله: (لَهُـــمْ زَجَلٌ) بفتح الزاي والجيم: اللعب والجلبة والتطريب ورفع الصوت.

والمراد: كلامهم كثير وجدلهم عقيم، يلهون ببدعهم الأوقات الطويلة.

قوله: (وتَوحِيدٌ جَدِيدٌ) توحيد الأشاعرة والمعتزلة والخوارج والروافض والصوفية والجهمية ونحوهم ليس هو التوحيد الذي جاءت به الرسل كما فصلته في (المختصر المفيد).

وإليك قول الأشاعرة:

أهل الكلام وجوه لعملة واحدة، فالمسلك واحد والنتيجة واحدة، فقد أنكر جمهور الأشاعرة والصوفية توحيد الألوهية، وأقروا بالربوبية والصفات على طريقة المعتزلة أو قريباً منها.

قال الشهرستاني: الباري تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

ونقله القشيري عن ابن فورك في «شرح الأسماء الحسنى».

فالتوحيد عندهم: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال.

ومرادهم بالأول: نفي الصفات الذاتية الخبرية كالوجه... لأنها أبعاض وأجزاء على حد تعبيرهم، فوافقوا المعتزلة.

ومرادهم بالثاني: نفي سائر الصفات الفعلية كالمحبة والغضب والضحك... لأن إثباتها على ظاهر فيه تمثيل على حد زعمهم فوافقوا المعتزلة والجهمية أيضاً.

ومرادهم بالثالث: توحيد الربوبية، ونفي اختيار العبد والقول بالجبر ونفي الأسباب...

فمذهبهم بعيد كل البعد عن الحق والتوحيد وما كان عليه السلف.

قوله: (أَبَــى الْإِسْـــلَامُ ذَلِكَ والأَنَامُ) هذا التوحيد الذي ابتدعوه مضاد للتوحيد الذي جاء به الإسلام، ونزلت به الكتب، وبعثت به الرسل عليهم السلام، وهو: إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وهذا هو الوارد في أعظم سورة وفي سائر القرآن الكريم والسنة النبوية.

﴿ الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ توحيد الربوبية، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ توحيد الألوهية، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ توحيد الأسماء والصفات.

وقد فصلناه في تفسير الفاتحة.

١٢- قوله: (وَزَمْـــزَمَةٌ) التمتمة والصوت المختلط غير المفهوم.

(وَهَيْنَمَةٌ) الصوت الخفي، مثل الهمهمة.

(وَطَــيْشٌ) خفة العقل وسوء التصرف.

وهذا تشبيه لهم حين يتمتمون ببدعهم، وجدلهم، وللصوفية من هذا الضلال النصيب الأوفر.

(كَــــــأَنَّهُمُ دَجَـــاجٌ أَوْ حَمَامُ) بَقْبقتهم كثيرة، وعلومهم قليلة، وعقولهم جهولة.

ولو كانت لهم عقول لما قدموها على كلام العزيز الحميد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.



١٣- وَإِزْرَاءٌ بِأَهْــلِ الحَــقِّ ظُلْمًا وَتَلْقِيــبٌ وَتَشْنِيــعٌ مُدَامُ

التعليق:

١٣- قوله: (وَإِزْرَاءٌ) انتقاد واحتقار.

(بِأَهْــلِ الحَــقِّ) وهم أهل السنة والجماعة السلفيون، الطائفة المنصورة، أهل الحديث والأثر. الصحابة ومن سار على هديهم في التوحيد والاتباع والجماعة.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فما لم يكن دِينًا في زمن الصحابة فليس بدين، وإن زخرفها الناس.

(ظُلْمًا) هؤلاء الطاعنين في أهل السنة يظلمونهم ويفترون عليهم.

(وَتَلْقِيــبٌ) يلقبونهم بألقاب تنفيرية، كقول الأشاعرة لمن يثبت الصفات: حشوية ومجسمة.

(وَتَشْنِيــعٌ) الوصف بالقبيح. (مُدَامُ) دائمًا.

وهذه من أبرز سمات وصفات أهل البدع كعادة أسلافهم ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

وقال أحمد بن سنان رحمه الله تعالى: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث[(١)].

وقال أبو حاتم رحمه الله تعالى: علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر وعلامة الزنادقة تسمية أهل السنة حشوية يريدون إبطال الأثر[(٢)].

(١) سنده صحيح رواه الصابوني في عقيدة أصحاب الحديث (١٦٣) والخطيب في شرف أصحاب الحديث (١٤٥) والحاكم في معرفة علوم الحديث (٤) والهروي (٢٣٧) من عدة طرق عن أحمد بن سنان وسنده صحيح.

(٢) سنده صحيح رواه اللالكائي (٣٢١) والصابوني (١٦٧) من عدة طرق عن ابن أبي حاتم عن أبيه فالسند صحيح . وهو مذكور في رسالة ابن أبي حاتم (أصل السنة واعتقاد الدين)..

وقال أبو حاتم رحمه الله تعالى: " علامة الجهمية تسمية أهل السنة مشبهة وعلامة القدرية تسمية أهل الأثر مجبرة وعلامة المرجئة تسمية أهل السنة ناصبة، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء(١)" .

وقال الصابوني رحمه الله تعالى: وعلامات أهل البدع على أهلها بادية ظاهرة وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي صلى الله عليه على آله وسلم واحتقارهم لهم وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة ... (٢).

ـ وقال البربهاري: وإن سمعت الرجل يقول : فلان مشبه وفلا يتكلم في التشبيه فاتهمه واعلم أنه جهمي، وإذا سمعت الرجل يقول فلان ناصبي فاعلم أنه رافضي ... الخ(٣).

ـ وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن: وعادة أهل البدع إذا أفلسوا من الحجة وضاقت عليهم السبل تروحوا إلى عيب أهل السنة وذمهم ... (٤)

****

(١) تقدم تخريجه آنفاً. وهو صحيح.

(٢) عقيدة السلف ضمن الرسائل المنيرية (١/ ١٣١ـ١٣٢) وانظر ص١١٦ تحقيق بدر البدر.

(٣) شرح السنة (١٤٢).

(٤) ذم اختلاف الأمة ص٥٩ .

١٤- وَقَولَ المُلْحِدِيـنَ وَإِنْ تَعَاوُوا عِـوَاءَ الذِّئبِ لَيْسَ لَهُ نِظامُ

التعليق:

١٤- قوله: (وَقَولَ المُلْحِدِيـنَ) الإلحاد: الشرك، والميل عن الحق، ويطلق أيضاً على من يجحد ربوبية الله تعالى.

وكأن مراد الناظم: الذين يلحدون في الأسماء والصفات ويحرفون معانيها من الأشاعرة والماتريدية وسائر المعطلة.

قوله: (وَإِنْ تَعَاوُوا عِـوَاءَ الذِّئبِ) وإن صاحوا وتداعوا لنصرة ضلالهم كما تتداعى الذئاب عند عواء بعضها.

قوله: (لَيْسَ لَهُ نِظامُ) لأن الباطل من أبرز صفاته الاختلاف والتناقض.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾.

****

١٥-فَصَبْرًا يَا بَنِي الْأَحْرَارِ صَبْـرًا	فَــــإِنَّ الظُّلْمَ لَيْسَ لَهُ دوَامُ
١٦- وَأَنَّ الحَــقَّ أَبْلَـجُ لَا يُضَامُ	وَقَـــولُ الـزُّورِ آخِرُهُ غَرَامُ

التعليق:

١٥- قوله: (فَصَبْرًا) اثبتوا واحبسوا أنفسكم على التوحيد والاتباع والجماعة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

قوله: (يَا بَنِي الْأَحْرَارِ) الحر: هو الذي لم تستعبده الأهواء ولا أهلها.

فالتسمك بالتوحيد والسنة عز وتمكين.

(صَبْـرًا) توكيد.

قوله: (فَــــإِنَّ الظُّلْمَ لَيْسَ لَهُ دوَامُ) لأنه من الباطل الذي يتلاشى أمام الحق.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

١٦- قوله: (وَأَنَّ الحَــقَّ أَبْلَـجُ) مضيء واضح.

(لَا يُضَامُ) لا ينقص ولا يُحجب بل يزداد ويقوى متى وجد من يصبر على نشره.

ويأتي الضيم بمعنى الظلم.

قوله: (وَقَـــولُ الـزُّورِ) الكذب والبدع والشرك. (آخِرُهُ غَرَامُ) أي: هلاك وعذاب.

تم ولله الحمد والمنة

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.

****